# تعليقات على رسالة

# واجبنا نحو ما أمرنا الله به

لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

رحمه الله


تأليف

عبد الرزاق بن عبد المحسن البدر



طبع على نفقة بعض المحسنين

جزاهم الله خيراً وأعظم لهم المثوبة

# تعليقات على رسالة
# واجبنا نحو ما أمرنا الله به

## لشيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب

رحمه الله

تأليف

عبد الرَّزَّاق بن عبد المحسن البدر

**فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر**

البدر، عبد الرزاق عبد المحسن

**تعليقات على رسالة واجبنا نحو ما أمرنا الله به لشيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله.** / عبد الرزاق عبد المحسن البدر – المدينة المنورة ، ١٤٣٢هـ

٥٦ص، ١٢×١٧سم

ردمك: ٦-٨٧٢٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١ – الإيمان ( الإسلام)　　٢ – التوحيد　　أ . العنوان

ديوي ٢٤٠　　١٠٤٠٥/ ١٤٣٢

رقم الإيداع : ١٠٤٠٥/ ١٤٣٢

ردمك : ٦-٨٧٢٦-٠٠-٦٠٣-٩٧٨



الطبعة الأولى

١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

بسم الله الرحمن الرحيم

إنَّ الحمدَ لله نحمدُه ونستعينُه ونستغفرُه، ونعوذُ بالله من شرورِ أنفسنا ومن سيِّئاتِ أعمالنا، من يهدِهِ اللهُ فلَا مُضِلَّ له، ومن يُضْلِلْ فلا هادي له.

وأشهد أن لا إلـٰه إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمَّدًا عبدُه ورسولُه، صلَّى الله وسلَّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين.

أمَّا بعدُ.. فموضوع هٰذه الرِّسالة عظيمٌ للغاية، يحتاج إليه كلُّ مسلم ومسلمة ألا وهو: «**واجبنا نحو ما أمرنا الله به**»؛ ما الَّذي يجب علينا نحو ما أُمِرنا به في كتاب ربِّنا وسنَّة نبيِّنا ﷺ؟

وبين يدي هـٰذا الموضوع الجليل أذكِّر بأمر يحسن

التَّذكير به ألا وهو: أنَّ الله ﷻ لم يخلق هـٰذا الخلقَ باطلًا ولم يُوجِدْه عبثًا ولعبًا ـ تنزَّه وتقدَّس ربُّنا عن ذلك ـ؛ بل خلَقَ الخلقَ بالحقِّ وللحقِّ، قال تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۚ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣﴾ [سُورَةُ النَّحْلِ].

ونزَّه ـ تبارك وتعالى ـ نفسَه في آيٍ كثيرةٍ من كتابه عن أن يكون خلق هـٰذا الخلق باطلًا أو أوجَدَه لعبًا، قال الله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ۝٢٧ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [سُورَةُ صٓ].

فبيَّن ﷻ أنَّ هـٰذا ظنُّ الكافرين وعقيدة أهل الكفر؛ يظنُّون ويعتقدون أنَّهم إنَّما خُلِقُوا للَّهو واللَّعب والعبَث، وأنَّ الله ﷻ إنَّما خلق هـٰذه المخلوقات باطلًا؛ أي لا لحكمةٍ ولا لغايةٍ، ولهـٰذا قال: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ﴾ أي:

هم الَّذين يظنُّون بربِّ العالمين هـٰذا الظَّنَّ الآثمَ، ويعتقدون فيه هـٰذا الاعتقاد الباطل، ثُمَّ تهدَّدهم فقال: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

وقال عَزَّ وَجَلَّ في آية أخرى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٧﴾﴾ [سُورَةُ الأَنبِيَاءِ].

وجَاء في القُرآن ثناء الله ـ تبارك وتعالى ـ على عباده المتَّقين وأوليائه المؤمنين وحزبه المقرَّبين أولي الألباب السَّليمة والعُقول المستقيمة، وأنَّ من جلائل أعمالهم التَّفكُّر في خلق السَّمٰوات والأرض والإيمان الرَّاسخ بأنَّها لم تُخلق باطلًا: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ

﴿ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾﴾ [سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ].

أي لم تُوجِد هـٰذا الخلق وهـٰذه الكائنات وهؤلاء النَّاس باطلًا، تعاليتَ وتنزَّهتَ وتقدَّستَ عن ذلك، ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقۡتَ هَٰذَا بَٰطِلٗا سُبۡحَٰنَكَ﴾ أي نُنزِّهك ونقدِّسك يا ربَّنا؛ ﴿فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾، فتوسَّلوا إلى الله في طلب الوقاية من عذاب النَّار بتنزيهه من أن يكون خلق هـٰذه المخلوقات باطلًا، وهي وسيلةٌ عظيمةٌ يتوسَّل بها أهلُ الإيمان إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ لنيل هذا المطلب.

**وفي هـٰذا سرٌّ عظيم يحسُنُ التَّنبُّه له ألا وهو:**

أنَّ هـٰذه العقيدة ـ عقيدة أهل الإيمان ـ بـ«أنَّ الله لم يخلق هـٰذا الخلق باطلًا» لها أثرها عليهم في أعمالهم، وفي أخلاقهم، وفي سلوكهم، وفي عباداتهم، ترفُّعًا عن العبث واللَّهو والباطل المنافي لمقصود الخلق، وفي الوقت نفسه عقيدة أهل الكفر: «أنَّ هـٰذه المخلوقات خُلقت باطلًا»

لها أثرها عليهم في أعمالهم وأخلاقهم وعباداتهم وسلوكهم، انغماسًا في اللَّهو واغراقًا في العبث، حتَّى أشبَهَت حياتهم الحيوان البهيم بل أسوأ.

فالمؤمن الَّذي يؤمن بأنَّ هـٰذا الخلق لم يُخلق باطلًا ولم يوجد عبثًا، إيمانه هـٰذا يجعله يَجِدُّ ويجتهدُ وينشط فيما خُلق له وأُوجِدَ لتحقيقه، ومَن يعتقد أنَّ هـٰذه المخلوقات خُلقت باطلًا ويظنُّ هـٰذا الظَّنَّ، فإنَّ عقيدته وظنَّه يُوقعه في أعظم الرَّدى وأشدِّ الهلاك في دنياه وأخراه.

ولهـٰذا كان من أعظم الوسائل إلى الله ـ تبارك وتعالى ـ في طلب الوقاية من النَّار الإيمان الرَّاسخ بأنَّ الله لم يخلق هـٰذا الخلق باطلًا؛ بل خلقه بالحقِّ وللحقِّ ممَّا يُثمر في المؤمن عملًا صالحًا، وطاعاتٍ زاكية، وحُسن تقرُّبٍ إلى الله ﻷ.

والكفَّار الَّذين ظنُّوا بالله هـٰذا الظَّنَّ الآثم المشار إليه

في قول الله تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ فَوَيۡلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧﴾ [سُورَةُ صٓ] تهدَّدهم الله بالنَّار يوم القيامة، ودخول جهنَّم والخلود فيها أبد الآباد، ولهٰذا إذا دخلوا النَّار يوم القيامة وذاقوا العذاب، وتقطَّعت بهم الأسباب، وضاقت بهم الحيل؛ يقول الله تعالَى لهم وهم في النَّار: ﴿أَفَحَسِبۡتُمۡ أَنَّمَا خَلَقۡنَٰكُمۡ عَبَثٗا وَأَنَّكُمۡ إِلَيۡنَا لَا تُرۡجَعُونَ ١١٥ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡحَقُّۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡكَرِيمِ ١١٦﴾ [سُورَةُ المُؤمِنُونَ].

ومَن يتأمَّل السِّياق الَّذي وردت فيه هـٰذه الآية من خواتيم سورة «المؤمنون» يدرك أنَّ هـٰذا كلامٌ يقوله الله ـ تبارك وتعالى ـ يوم القيامة لأهل النَّار وهم في النَّار؛ لأنَّ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ذكر حالَ النَّاس يوم القيامة حين يقومون لربِّ العالمين، ويقدمون عليه ـ تبارك وتعالى ـ، وأنَّهم ينقسمون إلى فريقين: فريقٌ في الجنَّة وفريقٌ في السَّعير،

وبيَّن ـ تبارك وتعالى ـ حالَ كلٍّ منهما في آيات عظيمات قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ١٠١ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ١٠٢ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ١٠٣ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ١٠٤ أَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ١٠٥ قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتۡ عَلَيۡنَا شِقۡوَتُنَا وَكُنَّا قَوۡمٗا ضَآلِّينَ ١٠٦ رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡهَا فَإِنۡ عُدۡنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ ١٠٧ قَالَ ٱخۡسَـُٔواْ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ ١٠٨ إِنَّهُۥ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَا وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلرَّٰحِمِينَ ١٠٩ فَٱتَّخَذۡتُمُوهُمۡ سِخۡرِيًّا حَتَّىٰٓ أَنسَوۡكُمۡ ذِكۡرِي وَكُنتُم مِّنۡهُمۡ تَضۡحَكُونَ ١١٠ إِنِّي جَزَيۡتُهُمُ ٱلۡيَوۡمَ بِمَا صَبَرُوٓاْ أَنَّهُمۡ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ١١١ قَٰلَ﴾ ـ أي الله ـ ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾، والخطاب للكفَّار أهل النَّار، ﴿كَمۡ لَبِثۡتُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ عَدَدَ سِنِينَ ١١٢﴾، كم مدَّة بقائكم في الدُّنيا؟ ﴿قَالُواْ لَبِثۡنَا يَوۡمًا أَوۡ

بَعْضَ يَوْمٍ فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ ﴿١١٣﴾﴾؛ اسأل الملائكة الَّذين كانوا يعدُّون علينا الأيَّام والأعمال والأوقات ويكتبون، ﴿قَٰلَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾، فهٰذا كلام يقوله الله ـ تبارك وتعالى ـ لأهل النَّار وهُم في النَّار، ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾؛ أي لا لحكمة ولا لغاية، أهكذا ظنُّكم بربِّ العالمين؟! أنَّه يخلق الخلقَ ويوجِد هٰذه الكائنات عبثًا لا لحكمة ولا لغاية؟! هٰذا قولٌ للمفسِّرين في معنى هٰذه الآية.

وقولٌ آخر: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا﴾؛ أي للعبث، أي: أظننتُم واعتقدتُم أنَّكم إنَّما خَلقتكُم لأجل أن تعبَثوا وتلعَبوا؟! ﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ﴾ أي: تنزَّه وتقدَّس عن ذلك، ﴿ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ۖ﴾؛ (الحقُّ) اسم من أسماء الله، ومعناه أي: الَّذي لا شكَّ فيه ولا ريب، لا في ذاته، ولا

في أسمائه وصفاته، ولا في ألوهيَّته، فهو المعبود بحقٍّ ولا معبود بحقٍّ سواه، فهو ـ تبارك وتعالى ـ حقٌّ، وأسماؤه وصفاته حقٌّ، وأفعاله وأقواله حقٌّ، ودينه وشرعه حقٌّ، وأخباره كلُّها حقٌّ، ووعده حقٌّ، ولقاؤه حقٌّ.

وقد كان النَّبيُّ ﷺ يستفتح صلاتَه من اللَّيل بالإقرار بهذه المعاني، كما في حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: «**كان النَّبيُّ ﷺ إذا قام من اللَّيل يتهجَّد قال: اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ أَنْتَ قَيِّمُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ لَكَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَكَ الحَمْدُ أَنْتَ الحَقُّ، وَوَعْدُكَ الحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَقَوْلُكَ حَقٌّ، وَالجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ،**

**وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ**» متَّفق عليه[(١)].

وضدُّ الحقِّ هو الباطل، وهو وصفُ المعبودات من دونه قال الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾ [سُورَةُ الحَجِّ].

كذلك ممَّا ورد في القرآن في تقرير هـٰذا الأمر العظيم قول الله ـ جلَّ وعلا ـ: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾﴾ [سُورَةُ القِيَامَةِ] أيظنُّ ويعتقد أن يُترك سدى؟!

قيل: ﴿سُدًى﴾؛ أي لا يُؤمر ولا يُنهى.

وقيل: ﴿سُدًى﴾؛ أي: لا يُبعث.

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٦٣١٧)، و«صحيح مسلم» رقم (٧٦٩)، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، و«صحيح مسلم» ليس فيه: «**وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ**».

قال ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]: «والظَّاهر أنَّ الآية تعمُّ الحالين، أي: ليس يترك في هذه الدُّنيا مهملًا، لا يُؤمر ولا يُنهى، ولا يُترك في قبره سدًى لا يُبعث، بل هو مأمورٌ منهيٌّ في الدُّنيا، محشورٌ إلى الله في الدَّار الآخرة».

فيبعث ـ تبارك وتعالى ـ النَّاسَ يوم القيامة ويقومون بين يدي ربِّ العالمين؛ ليُجازي المُحسن بإحسانه والمُسيء بإساءته، وهيهاتَ أن يسوِّي ربُّ العالمين بين مُحسن ومُسيء، وبين برٍّ وفاجر، وبين مُطيع وعاص، ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [سُورَةُ صٓ]، فهـٰذا لا يكون، بل يُنزَّه عنه الرَّبُّ تبارك وتعالى.

فهـٰذه الآياتُ ونظائرها في كتاب ربِّنا عَزَّ وَجَلَّ:

فيها إيقاظٌ للقلوب، وتبصرةٌ للنَّاس..

وفيها تنبيهٌ للغافل وتذكيرٌ للمؤمن وتبصير للجاهل..

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨٣).

وفيها بيانٌ لحقيقةٍ عظيمة ينبغي أن تكون حاضرةً في الذِّهن، كي لا تمضي بالإنسان سنونه وأيَّامه وأوقاته في الضَّياع والباطل، فالإنسانُ لم يُخلَق للباطل، ولم يوجَد للعَبث.

روى ابنُ أبي حاتم(١) عن رجل من آل سعيد ابن العاص قال: «كان آخر خطبة خطب عُمَر بن عبد العزيز أن حمد الله وأثنى عليه، ثمَّ قال: أمَّا بعد، فإنَّكم لم تخلقوا عبثًا، ولن تُتركوا سدًى، وإنَّ لكم معادًا ينزل الله فيه للحكم بينكم والفصل بينكم، فخاب وخسر مَن خرج من رحمة الله، وحُرِم جنَّة عرضها السَّموات والأرض، ألم تعلموا أنَّه لا يأمن غدًا إلَّا من حذر هذا اليوم وخافه، وباع نافدًا بباق، وقليلًا بكثير، وخوفًا بأمان، ألا ترونَ أنَّكم من أصلاب الهالكين، وسَيكون من بعدكم الباقين، حتَّى تردُّون إلى خير الوارثين؟ ثمَّ إنَّكم في كلِّ يوم تُشَيِّعون غاديًا ورائحًا إلى الله ﷻ، قد قضى نحبه، وانقضى أجله، حتَّى تغيِّبوه في صَدْع من

(١) في «تفسيره» (٨/ ٢٥١٢).

الأرض، في بطن صدع غير ممهَّد ولا موسَّد، قد فارق الأحباب وباشر التُّراب، وواجه الحساب، مُرْتهَن بعمله، غنيٌّ عمَّا ترك، فقير إلى ما قدَّم، فاتَّقوا الله ـ عباد الله ـ قبل انقضاء مواثيقه، ونزول الموت بكم، ثمَّ جعل طرف ردائه على وجهه، فبكى وأبكى من حوله».

وإذا أدرك المسلمُ هـٰذا الأمر واستحضره وأيقن أنَّه لم يخلق باطلًا، وأنَّ الله ـ تبارك وتعالى ـ خلقَه ليأمره وينهاه، فما الَّذي يجبُ عليه نحو ما أمره اللهُ به ونحو ما نهاه الله عنه؟

**هـٰذا موضوع الحديث هنا:**

إنَّ الواجبَ على كلِّ مسلم ومسلمة نحو ما أمره الله ـ تبارك وتعالى ـ به أمور سبعة عظيمة، بيَّنها بيانًا وافيًا ووضحَّها توضيحًا نافعًا الإمامُ المجدِّد شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب ـ رحمه الله وغفر له ـ، في رسالة مختصرة عظيمة النَّفع، غزيرة الفائدة.

وفيما يلي سوقُ ألفاظِه المسدَّدة وكلماتِه الموفَّقة مع شيء منَ التَّعليق.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ[1]:

**إذا أمرَ اللهُ العبدَ بأمرٍ، وجب عليه فيه سبعُ مراتبَ: الأولى: العِلْمُ به، الثَّانية: محبَّته، الثَّالثة: العزْم على الفعل، الرَّابعة: العَمَل، الخامسة: كونه يقع على المشروع خالصًا صوابًا، السَّادسة: التَّحذير من فعل ما يُحبطه، السَّابعة: الثَّبات عليه.**

❑❑❑

فهٰذه الأمور تعدُّ زُبدةً عظيمةً، وخلاصةً نفيسةً جدًّا ينبغي أن يُعتنى بها عناية دقيقة:

**أوَّلا**: بحفظها. **ثانيًا**: بفهمها.

**ثالثًا**: بالعمل بها. **رابعًا**: بنشرها بين النَّاس.

ثمَّ شرع رَحِمَهُ ٱللَّهُ في توضيحها توضيحًا مختصرًا بالمثال:

(١) «الدُّرر السَّنيَّة في الأجوبة النَّجدية» (٢/ ٧٤ـ٧٥/ ط السَّابعة ١٤٢٥).

## □ المرتبة الأولى: العلم به □

إذَا عرف الإنسانُ: أنَّ اللهَ أمر بالتَّوحيد، ونهى عن الشِّرك.

أو عرف: أنَّ الله أحلَّ البيع وحرَّم الرِّبا.

أو عرف: أنَّ الله حرَّم أكل مال اليتيم، وأحلَّ لوليِّه أن يأكل بالمعروف إن كان فقيرًا وَجَبَ عليه أن يعلم المأمورَ به ويسألَ عنه إلى أن يعرفَه، ويعلم المنهيَّ عنه، ويسألَ عنه إلى أن يعرفَه.

واعتبر ذلك بالمسألة الأولى، وهي: مسألة التَّوحيد، والشِّرك؛ أكثر النَّاس علمَ أنَّ التَّوحيد حقٌّ، والشِّرك باطل، ولكن أعرضَ عنه، ولم يسأل.

وعرف: أنَّ الله حرَّم الرِّبا، وباع واشترى ولم يسأل.

وعرف: تحريمَ أكل مال اليتيم، وجوازَ الأكل بالمعروف؛ ويتولَّى مال اليتيم ولم يسأل.

□□□

فالأمر الأوَّل ممَّا يجب علينا نحو ما أمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ به هو أن نتعلَّمه، وهـٰذا أوَّل واجبٍ وبه يُبدأ، ولهـٰذا قال الله ـ تبارك وتعالى ـ: ﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ ﴾ [مُحَمَّد : ١٩] فبدأ بالعلم قبل القول والعمل، ومَن لم يتعلَّم ما أمره الله ـ تبارك وتعالى ـ به ولم يتعلَّم ما نهاه الله ـ تبارك وتعالى ـ عنه كيف يفعل المأمور به، وكيف يتركُ المنهيَّ عنه؟! فكما قيل: «فاقدُ الشَّيء لا يعطيه»، وكما قيل: «كيف يتَّقي مَن لا يدري ما يتَّقي؟»[1].

ولهـٰذا أوَّل واجب علينا نحو ما أمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ به أن نتعلَّمه، ولهذا جاءت الآيات الكثيرة والأحاديث العديدة عن رسولنا ﷺ في الحضِّ على العلم والحثِّ عليه، والتَّرغيب فيه، وبيان فضله، وذكر

(١) مِن قولِ بكرِ بنِ خُنَيْسٍ، أخرجه أبو نُعيم في «الحِلية» (٨/ ٣٦٥).

فوائده وثماره وآثاره.

ومن ذلكم قول نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَنْ سَلَكَ طَرِيقًا يَلْتَمِسُ فِيهِ عِلْمًا سَهَّلَ اللهُ لَهُ بِهِ طَرِيقًا إِلَى الجَنَّةِ**»[1]، وقوله ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**»[2]، وقد صحَّ عن نبيِّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ أنَّه كان يقول كلَّ يوم بعد صلاة الصُّبح: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا، وَرِزْقًا طَيِّبًا، وَعَمَلًا مُتَقَبَّلًا**»[3]، يسأل اللهَ ـ تبارك وتعالى ـ ذلك كلَّ يوم، وقد قال اللهُ له في القرآن: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [سُورَةُ طه]، وأوَّل آية نزلت عليه ﴿ٱقْرَأْ﴾ أمر بالقراءة والتَّعلُّم.

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٢٦٩٩) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٧١)، و«صحيح مسلم» رقم (١٠٣٧) عن معاوية بن أبي سفيان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٣) «سنن ابن ماجه» رقم (٩٢٥)، عن أمِّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

ولاحظ هنا في هٰذا الدُّعاء بدأ ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ بالعلم النَّافع قبل الرِّزق الطَّيِّب، وقبل العمل الصَّالح أو العمل المتقبَّل؛ لأنَّ العلم النَّافع هو الَّذي يمِيز به المسلم بين الرِّزق الطَّيِّب والخبيث، وبين العمل الصَّالح وغير الصَّالح، ومن لم يكن عنده علم نافع كيف يَمِيز بين حقٍّ وباطل وطيِّب وخبيث! ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر: ٩]، ﴿أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ﴾ [الرعد: ١٩]، ﴿أَفَمَن يَمْشِى مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِۦٓ أَهْدَىٰٓ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾﴾ [سورة الملك].

فالعلم هو النُّور لصاحبه والضِّياء للسَّالك، فإذا كان يسير في طريقه على علمٍ وبصيرةٍ من دين الله ـ تبارك وتعالى ـ كانت خطواته في سيره صحيحةً بخلاف مَن يعمل ويجدُّ ويجتَهد في غير علم وعلى غير هدى، وفي

هؤلاء قال عُمَر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «مَن عبَد الله بغير علم كان ما يُفسد أكثر ممَّا يُصلح»[1]، وهل حدثت البدع ووُجدت أنواع الأباطيل بين النَّاس إلَّا بسبب الجهل بدين الله، والعبادة عن غَير علم وعن غير بصيرة!!

فالعلم ـ إذن ـ أساسٌ عظيمٌ، ومطلبٌ جليلٌ يجب على كلِّ مسلم ومسلمة أن يحرصَ عليه، ولهـٰذا نصح العلماء أن يكون للمسلم حظٌّ من العلم في أيَّامه كلِّها، يحرص أن لا تغيب عليه شمسُ يوم لا يحصِّل فيه علمًا، فالعلم مطلوبٌ منك يوميًّا، ودليل ذلك واضحٌ في دعاء نبيِّنا ﷺ كلَّ يوم بعد صلاة الصُّبح: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ عِلْمًا نَافِعًا**».

ولهـٰذا ينبغي أن يكون في برنامج المسلم اليومي

(١) رواه ابن أبي شيبة في «المصنَّف» (٣٥٠٩٨)، والدَّارمي في «سننه» (٣١٣)، وابن بطَّة في «الإبانة» (٥٧٩).

طلبُ العلم، وأن يكون له حظٌّ من التَّعلُّم وطلب العلم في كلِّ أيَّامه، ومِن نعمة الله علينا في هـٰذا الزَّمان أنَّ وسائل تحصيل العلم كثُرت، في سيَّارتك تستطيع أن تستمع الموعظةَ النَّافعةَ، والمحاضرةَ المفيدةَ، والكلامَ المسدَّد، والفتاوى، وتستمع كلامَ الله، وتستمع بيانَ آياته وأحاديثَ رسوله ـ عليه الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ، وتستمع الإذاعةَ المباركةَ ـ إذاعةَ القُرآن الكريم ـ وهي جامعة للعلم وأفاد منها خلقٌ كثير في العالم لا يحصيهم إلَّا الله ـ جلَّ وعلا ـ، وبعضُ الأفاضل أنهى في سيَّارته ـ في تنقُّلاته وأسفاره ـ سماعَ عددٍ من الكتب بشروحات أهل العلم[1]، ومثلُ هذا لم يكن مهيَّأً في الزَّمن الأوَّل.

الشَّاهد أنَّ أوَّل واجب علينا نحو ما أمرنا الله

(١) خلاف حال من نفقت أعمارهم مع هذه الأجهزة سماعًا للباطل واستماعًا للَّهو والضَّلال، ولتحذر ـ يا مَن أكرمك الله ـ في سيَّارتك بجهاز التَّسجيل أو المذياع أن تُشغِّله في الباطل، وأن تستعمل هـٰذه النِّعمة في حرام فتكونَ من الخاسرين.

ـ تبارك وتعالى ـ به: العلم والتَّعلم، بمعرفة الأوامر، ومعرفة النَّواهي.

أمرنا الله بالتَّوحيد فنتعلَّم التَّوحيد، وهو أعظم شيء أمرنا الله به.

أمرنا بالصَّلاة وهي أعظم أركان الإسلام بعد الشَّهادتين، فنتعلَّم الصَّلاة بشروطها وأركانها وواجباتها، ألم يقل نبيُّنا ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي**»[1]؟! كيف يصلِّي المسلم كما صلَّى رسول الله ﷺ دون أن يتعلَّم؟!

وهكذا قُلْ في الصِّيام، وفي الزَّكاة، وفي عموم الطَّاعات.

قوله رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**واعتَبر ذلك بالمسألة الأولى وهي مسألة التَّوحيد والشِّرك؛ أكثر النَّاس علم أنَّ التَّوحيد حقٌّ والشِّرك باطل ولكن أعرض عنه ولم يسأل**»؛ كثيرٌ من النَّاس لو يُسأل ما رأْيُك في التَّوحيد؟ يقول: التَّوحيد

(١) «صحيح البخاري» رقم (٦٣١) عن مالك بن الحويرث رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

زين، وإذا قيل له: ما رأيك في الشِّرك؟ يقول: الشِّرك شين؛ لٰكِنَّه لا يسأل عن التَّوحيد ولا يسأل عن الشِّرك، ولهٰذا ربَّما يفعل أمورًا على النَّقيض من التَّوحيد، وربَّما يفعل أمورًا هي من الشِّرك، ولا يسأل عن التَّوحيد، ولا يتعلَّمه، ولا يتبصَّر فيه، ولا يتفقَّه، ولا يعرف الشِّرك، ولهٰذا ربَّما يمارسُ أعمالًا هي من الشِّرك يقع فيها؛ لأنَّه عمل ولم يسأل.

وقوله: «**وعرفَ أنَّ الله حرَّم الرِّبا وباع واشترى ولم يسأل**»؛ بل بعضُهم إذا فكَّرت نفسُه بالسُّؤال عن عمل كبير مُربح ـ كما يقولون ـ يمتَنع أن يسأل يقول: ربَّما يصبح حرامًا، فلا يسأل، يريد أن يبيعَ ويشتري، هكذا لا يريد أن يكتشف أنَّه حرام، فتتعطَّل عليه هٰذه التِّجارة، وهٰذا واقعُ كثير من النَّاس لا يفكِّر أن يسأل، ولو قيل له: اسأل، تجده يمتَنع عن السُّؤال.

وقوله: «**وعرف تحريم أكل مال اليتيم وجواز الأكل بالمعروف ويتولَّى مال اليتيم ولم يسأل**»؛ يتولَّى مال اليتيم ولا يسأل عن الحدود الَّتي رُخِّصت له في الأكل من مال اليتيم، وقد قال الفقهاء: له أن يأكل أقلَّ الأمرين: أَجْرَةَ مثله أو قدر حاجته، واختلفوا: هل يردُّ إذا أيسر؟ على قولين.

وبهذه الأمثلة يتَّضح غيرها.



## □ المرتبة الثانية: محبته □

**المرتبة الثَّانية: محبَّة ما أنزل الله، وكُفر من كرهه؛ لقوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝٩﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ] فأكثر النَّاس لم يحبَّ الرَّسول ﷺ؛ بل أبغضه، وأبغض ما جاء به، ولو عرف أنَّ الله أنزله.**

□□□

الأمر الثَّاني ممَّا يجب علينا نحو ما أمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ به: أن نعمر قلوبنا بمحبَّته؛ والمحبَّةُ سائق إلى كلِّ خير وداعية إلى كلِّ فضيلة، فقد قال ـ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ: «**أَلَا إِنَّ فِي الجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الجَسَدُ كُلُّه، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ القَلْبُ**»[1]، ولهـٰذا ينبغي على المسلم أن يَعمر قلبه دائمًا

(١) «صحيح البخاري» رقم (٥٢)، و«صحيح مسلم» رقم (١٥٩٩) من حديث النُّعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وأبدًا بمحبَّة الله، ومحبَّة رسول الله ﷺ، ومحبَّة شرع الله، ويعمل على تقوية هـٰذه المحبَّة في قلبه وتوسيع مساحتها: فيحبُّ الصَّلاة، ويحبُّ الصِّيام، ويحبُّ البرَّ، والصِّلة، والإحسان، ويحبُّ الصِّدق، ويكره المحرَّمات والآثام والفواحش..

فإذا كان القلب يحبُّ لله ويبغض لله؛ صلحت حال الإنسان، «**مَنْ أَحَبَّ لله، وَأَبْغَضَ لله، وَأَعْطَى لله، وَمَنَعَ لله، فَقَدِ اسْتَكْمَلَ الإِيمَانَ**»(١)، «**أَوْثَقُ عُرَى الإِيمانِ الْحُبُّ فِي الله، وَالبُغْضُ فِي الله**»(٢).

ولهـٰذا يحتاج المسلم دائمًا أن يقوِّي في قلبه محبَّة الله ومحبَّة رسوله ﷺ ومحبَّة شرعه، وأن يبذل الأسبابَ الَّتي تمكِّن هـٰذه المحبَّة في قلبه، وأن يجتهد في أن يُبعد عن قلبه

---

(١) «سنن أبي داود» رقم (٤٦٨١) من حديث أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه، وصحَّحه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» رقم (٣٨٠).

(٢) «شرح السُّنة» للبغوي رقم (٣٤٦٨) من حديث ابن عبَّاس رضي الله عنهما، وصحَّحه الألباني رحمه الله في «الصَّحيحة» رقم (٩٩٨).

أمراضَه وأسقامَه.

فبسبب زيغ القلب ومرضِه تجد بعضَ النَّاس لا يُقبل قلبُه على أمور الخير ولا ينشرحُ لها، ولا يسعد بسماعها ويتضايق مِن ذكرها، وإذا دُعي إلى باطل أقبلت نفسُه واتَّجه إليه قلبُه، وتطلَّعت إليه نفسُه، فهـٰذا زيغ في القلب، ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨﴾ [سُورَةُ آلِ عِمْرَانَ].

ولهـٰذا يحتاج العبد أن يجاهد نفسَه على عمارة قلبه بمحبَّة الله ومحبَّة دينه ومحبَّة شرعه ومحبَّة الأوامر، فإذا وُجدت هـٰذه المحبَّة صلحت حالُ الإنسان.

ومن عظيم الدُّعاء المأثور عن نبيِّنا ﷺ: «**أَسْأَلُكَ حُبَّكَ، وَحُبَّ مَنْ يُحِبُّكَ، وَحُبَّ عَمَلٍ يُقَرِّبُ إِلَى حُبِّكَ**»(١)، فيدعو بها المسلم ويكرِّرها في حياته، ويبذل الأسبابَ

---

(١) «جامع التِّرمذي» (٣٢٣٥)، عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال التِّرمذي: «هـٰذا حديث حسن صحيح».

الَّتي تُقوِّي وتوسِّع مساحةَ المحبَّة لله ولرسوله ولدينه في قلبه، وإذا كان القلبُ محبًّا للخَيرات أقبل عليها، وسعى في فعلها والقيام بها، فالعبد مطلوبٌ منه أن يحبَّ الأعمال الَّتي تقرِّب إلى حبِّ الله، وفي الحديث القدسي قال الله ﷻ: **«وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ؛ فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ»**[(١)].

وليعتنِ في هذا المقام بالأسباب الجالبة للمحبَّة، والموجِبة لها؛ وهي عشرة:

«أحدها: قراءة القرآن بالتَّدبُّر والتَّفهُّم لمعانيه، وما أريد به كتدبُّر الكتاب الَّذي يحفظه العبد ويشرحه ليتفهَّم

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٦٥٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

مراد صاحبه منه .

الثَّاني: التَّقرُّب إلى الله بالنَّوافل بعد الفرائض، فإنَّها توصله إلى درجة المحبوبيَّة بعد المحبَّة .

الثَّالث: دوام ذكره على كلِّ حال باللِّسان والقَلب والعَمل والحال، فنصيبه من المحبَّة على قَدر نصيبه من هذا الذِّكر.

الرَّابع: إيثار محابِّه على محابِّك عند غلَبَات الهوى، والتَّسنُّم إلى محابِّه، وإن صَعُب المرتقى.

الخامس: مطالعة القَلب لأسمائه وصفاته، ومشاهدتها ومعرفتها، وتقلُّبه في رياض هذه المعرفة ومباديها؛ فمَن عرفَ اللهَ بأسمائه وصفاته وأفعاله أحبَّه لا محالة، ولهذا كانت المعطِّلَة والفرعونيَّة والجهميَّة قُطَّاع الطَّريق على القُلوب بينها وبينَ الوصول إلى المحبوب.

السَّادس: مشاهدة برِّه وإحسانِه وآلائِه، ونعمِه الباطنة والظَّاهرة، فإنَّها داعيةٌ إلى محبَّته.

السَّابع: وهو مِن أعجبها انكسار القَلب بكلِّيَّته بين يدَي الله تعالى، وليس في التَّعبير عن هذا المعنَى غير الأسماء والعبارات.

الثَّامن: الخلوة به وقتَ النُّزول الإلهي لمناجاته وتلاوةِ كلامه، والوقوفِ بالقلب، والتَّأدُّب بأدب العبوديَّة بين يديه، ثمَّ ختم ذلك بالاستغفار والتَّوبة.

التَّاسع: مجالسة المحبِّين الصَّادقين، والتقاط أطايب ثمَرات كلامهم كما يُنتقى أطايبُ الثَّمر، ولا تتكلَّم إلَّا إذا ترجَّحت مصلحة الكلام، وعلمتَ أنَّ فيه مزيدًا لحالك، ومنفعةً لغيرك.

العاشر: مباعدة كلِّ سبب يحولُ بين القلب وبينَ الله عزَّ وجلَّ.

فمِن هذه الأسباب العَشرة وصل المحبُّون إلى منازل المحبَّة، ودخلوا على الحبيب؛ ومِلاك ذلك كلِّه أمران: استِعداد الرُّوح لهذا الشَّأن، وانفتاح عين البَصيرة، وبالله التَّوفيق»[(١)].

يقول رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**وكفر من كرهه**»؛ فمَن كره شيئًا أنزله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؛ أحبطت هٰذه الكراهيَّةُ عملَه، قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ﴾ [سُورَةُ مُحَمَّدٍ]، فالكراهيَّة والبُغض لدين الله أو لما شرعَه الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لعباده محبطٌ للعَمل.

قال: «**فأكثر النَّاس لم يحبَّ الرَّسول**»؛ أي المحبَّة الحقيقيَّة الصَّادقة النَّابعة من القلب المثمرة لاتِّباعه، والسَّير على منهاجه ـ صلواتُ الله وسلامه وبركاته عليه ـ، وقد قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى

---

(١) «مدارج السَّالكين» لابن القيِّم (٣/ ١٩).

﴿يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ﴾ [آل عمران: ٣١]، قال أحد السَّلف: «ليس الشَّأن أن تحِب، ولٰكِنَّ الشَّأن أن تحَبَّ»[١]؛ أي أن يحبَّك الله، وهٰذا لا يُنال بمجرَّد الدَّعاوى، ولهذا قيل:

تعصي الإلهَ وأنت تزعم حبَّه
هٰذا لعمري في القياس شنيعُ
لو كـان حبُّك صادقًا لأطعته
إنَّ المحـبَّ لمن أحـــبَّ مطيعُ

وبالله التَّوفيق، وهو وحده المُستعان.

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٢).

## □ المرتبة الثَّالثة: العزم على الفعل □

**المرتبة الثَّالثة: العزم على الفعل؛ وكثير من النَّاس: عرف وأحبَّ، ولكن لم يعزم، خوفًا من تغيُّر دنياه.**

□□□

الأمر الثَّالث ممَّا يجب علينا نحو ما أمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ به هو أن نعزم على فعله، عَلِمْتَه وأحببتَه فاعقد في قلبِك العزم على فعله، ومن عظيم الدُّعاء الثَّابت عن نبيِّنا ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ فِي الأَمْرِ، وَالعَزِيمَةَ عَلَى الرُّشْدِ**...»[1] إلى آخر الدُّعاء.

قال ابن القيِّم في «مفتاح دار السَّعادة»[2]: «وهاتان الكلمتان هُما جِماع الفلاح وما أُتي العبد إلَّا من تضييعهما أو تضييع أحدهما».

---

(١) أخرجه الطَّبراني رَحِمَهُ اللَّهُ في «المعجم الكبير» رقم (٧١٣٦) من حديث شدَّاد ابن أوس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ في «الصَّحيحة» رقم (٣٢٢٨).

(٢) (١/ ١٤٢).

والعبد قد يعرف الرُّشدَ ويحبُّه؛ لٰكن تكون عزيمتُه فاترةً فلا يُقبل قلبه على العمل، على سبيل المثال: قد يعرفُ الصَّلاة ويحبُّها، ويعلمُ مكانتَها، ويعرفُ أنَّها يترتَّب عليها من الخيراتِ العظيمة، والثِّمار في الدُّنيا والآخرة الشَّيء الكثير، ويعرفُ عقوبةَ تاركها، وإذا سألتَه عنها ومكانتَها في نفسِه يقول: يحبُّها، ولا يبغضها، ولٰكن عزيمتُه تكون ضعيفةً فاترةً.

كذلك قد يسمع الموعظةَ والذِّكرى فيحبُّ ما وُعظ به ولا يبغضُه؛ لٰكن تكون عزيمته فاترة، ﴿وَلَوۡ أَنَّهُمۡ فَعَلُواْ مَا يُوعَظُونَ بِهِۦ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡ وَأَشَدَّ تَثۡبِيتٗا ٦٦﴾ [سُورَةُ النِّسَاءِ].

وقوله: «**ولكن لم يعزم خوفًا من تغيُّر دنياه**»؛ مثل أن يكون عنده رئاسة، أو عنده أموال، أو جاه عظيم ومكانة واسعة فيخشى أن تتغيَّر؛ كمَن يكون له مكانةٌ عند أناس مبتدعة، ثُمَّ يعرف السُّنَّةَ ويحبُّها، ولكن يتوقَّف عن

العمل بها؛ بل يتوقَّف عن العَزم على العَمل خوفًا مِن أن تتغيَّر دنياه؛ أي يضيع هٰذا الجاه، وتضيعُ هٰذه المكانة، ويضيع ذلك التَّقدير، فتجده يقول: كيف أعملُ بهذا الأمر!! ماذا سيقول عنِّي هؤلاء الَّذين لديَّ هٰذه المكانة العظيمة عندهم!!.



## ▫ المرتبة الرَّابعة: العَمَل ▫

**المرتبة الرَّابعة: العمل؛ وكثير من النَّاس إذا عزم أو عمل، وتبيَّن عليه من يعظِّمه من شيوخ أو غيرهم ترك العمل.**

▫▫▫

الأمر الرَّابع: العمل، علِمْتَ وأحببتَ وعزمتَ؛ فاعمل وواظب على العمل، كلّ عملٍ في وقته، وإيَّاك والتَّسويف والتَّأجيل؛ بل تبادر إلى الأعمال وتسارع إليها ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وفي الحديث: «**بَادِرُوا بِالأَعْمَالِ فِتَنًا كَقِطَعِ اللَّيلِ المُظْلِمِ**»(١)، يبادر الإنسان ويسارع، وإذا جاء وقتُ العمل لا يؤجِّل، سُئل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: أيُّ العمل أحبُّ إلى الله؟ قال: «**الصَّلَاةُ إِلَى وَقْتِهَا**»(٢)، إذا

(١) «صحيح مسلم» رقم (١١٨) عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٥٢٧)، و«صحيح مسلم» رقم (٨٥) عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

جاء وقت الصَّلاة يترك كلَّ شيء ويبادر إليها، وهكذا كلُّ طاعة يبادر ويسارع إليها في وقتها، ويعوِّد نفسَه على المواظبة على الأعمال، والعناية بالعبادات والطَّاعات، كلُّ عمل يبادر إليه في وقته.

وليحذر الإنسان من الصَّوادِّ والصَّوارف، والملهيات والشَّواغل، وليبتعد عن كلِّ أمرٍ يصرفه عن العمل ويُشغله عن الطَّاعة الَّتي خُلق لأجلها وأوجِد لتحقيقها: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [سورة الذاريات].

وقوله: «**وتبيَّن عليه من يعظِّمه**»؛ معنى «تبيَّن عليه» أي اطَّلع عليه، وظهر عليه، ووقف على عمله بعضُ من يعظِّمه من شيوخ أو غيرهم، وقصَّة هرقل مشهورة لمَّا دعا عظماء الرُّوم وقال لهم: «يا معشر الرُّوم! هل لكم في الفلاح والرُّشد، وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النَّبيَّ، فحاصوا حيصةَ حُمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد

غُلِّقت، فلمَّا رأى هرقل نفرتَهم وأيِس من الإيمان؛ قال: ردُّوهم عليَّ، وقال: إنِّي قلتُ مقالتي آنفًا أختَبر بها شدَّتكم على دينكم، فقد رأيتُ؛ فسجدوا له ورضُوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هِرَقْلَ»[1].

فلمَّا تبيَّن عليه هؤلاء وظهر لهم أمره وأنكروا هٰذا الإنكار خاف أن تتغيَّر دنياه؛ فرجع عمَّا قال وبقي على كُفره، ومِثْل هذا يقع كثيرًا.



(١) «صحيح البخاري» رقم (٧، ٤٥٥٣)، عن ابن عبَّاس رضي الله عنه.

## المرتبة الخامسة:
## ◻ كونه يقع على المشروع خالصًا صوابًا ◻

**المرتبة الخامسة: أنَّ كثيرًا ممَّن عمل، لا يقع خالصًا، فإن وقع خالصًا، لم يقع صوابًا.**

◻◻◻

فالعبد إذا علم وأحبَّ وعزمَ وعمل، يحرص أن تكون أعمالُه خالصةً لله، وأن تكون في الوقت نفسِه صوابًا على وَفْق سنَّة رسول الله ﷺ، فإنَّ العمل إنْ لم يكن خالصًا لا يقبله الله ولو كان كثيرًا، قال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ؛ مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِيَ فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وشِرْكَهُ**»[(١)]، وإذا لم يكن العمل صوابًا على السُّنَّة لم يقبله الله، قال ﷺ:

---

(١) «صحيح مسلم» رقم (٢٩٨٥) من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

«**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»[1]، فلا يُقبل إلَّا إذا كان خالصًا للمعبود، موافقًا لهدي الرَّسول الكريم ـ صلوات الله وسلامه عليه ـ، فبهذا يكون العمل حسنًا مقبولًا، قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ۝٢﴾ [سُورَةُ المُلْكِ]، قال الفُضيل ابن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ﴾ قال: أخلصه وأصوَبُه، قيل: يا أبا عليٍّ! وما أخلصُه وأصوَبه؟ قال: «إنَّ العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتَّى يكون خالصًا صوابًا، والخالصُ ما كان لله، والصَّوابُ ما كان على السُّنَّة»[2].

---

(١) «صحيح البخاري»؛ (كتاب البيوع ، باب النَّجش) تعليقًا، ووصَله في كتاب الصُّلح رقم (٢٦٩٧)، وانظُر كلامَ الحافِظ في شرحِه، و«صحيح مسلم» رقم (١٧١٨) من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا.

(٢) «حلية الأولياء» (٨/ ٩٥).

## □ المرتبة السادسة: التحذير من فعل ما يحبطه □

**المرتبة السَّادسة: أنَّ الصَّالحين يخافون من حبوط العمل؛ لقوله تعالى:** ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]، **وهذا من أقلِّ الأشياء في زماننا.**

□□□

إذا علمتَ، وأحببتَ، وعزمتَ، وعملتَ، وجئتَ بالعمل خالصًا صوابًا، احذَر بعد ذلك من محبطات الأعمال، ومبطلات العبادات، قال تعالى: ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ۝٢﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]، احذر أن تأتي بأمرٍ يُحبط عملَك ويُبطله.

فإنَّ منَ النَّاس مَن يأتي يوم القيامة ويُردُّ عليه عملُه وتكون أعمالُه باطلةً، وأعظمُ مبطلٍ للأعمال هادمٍ لها الشِّرك بالله والكُفر به، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ

وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [سُورَةُ الزُّمَرِ]، وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلۡإِيمَٰنِ فَقَدۡ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ]، فليحذر العبد من مُبطلات الأعمال؛ وممَّا يُبطل العملَ الرِّياء والسُّمعة؛ أن يأتي بالعَمل على وجه المراءاة أو السُّمعة والذِّكر عند المخلوقين، لا تكون نيَّته في العمل خالصةً لله تبارك وتعالى.

وليتأمَّل في هذا المقام عظيمَ خوفِ الصَّحابة من مُبطلاتِ الأعمال مع كمالِ أعمالهم، وصلاح أحوالهم .

فهذا ثابت بن قيس بن شمَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لمَّا نزلت هٰذه الآية: ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]، عظُمَ خوفُه من أن تشمَلَه.

فعن أنسِ بنِ مالكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ افْتَقَدَ ثَابِتَ ابنَ قَيْسٍ؛ فقال رجلٌ: يا رسولَ الله! أنا أَعْلَمُ لَكَ عِلْمَهُ، فأتاه فوجَده جالسًا في بيته مُنكِّسًا رَأْسَهُ، فَقَالَ: مَا شَأْنُكَ؟! فقال: شَرٌّ كان يرفعُ صَوْتَهُ فوقَ صوتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقدْ حَبِطَ عملُهُ، وهو مِنْ أهل النَّارِ؛ فأتى الرَّجلُ فأخبرَه أنَّه قال كَذَا وَكَذَا، فقال: «**اذْهَبْ إِلَيْهِ فَقُلْ لَهُ: إِنَّكَ لَسْتَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، وَلَكِنْ مِنْ أَهْلِ الجَنَّةِ**»[1].

وهذا ثوْبانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، روى عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُ قَالَ: «**لأَعْلَمَنَّ أَقْوَامًا مِنْ أُمَّتِي يَأْتُونَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِحَسَنَاتٍ أَمْثَالِ جِبَالِ تِهَامَةَ بِيضًا، فَيَجْعَلُهَا الله عَزَّ وَجَلَّ هَبَاءً مَنْثُورًا**»، قَالَ ثَوْبَانُ: يَا رَسُولَ الله! صِفْهُمْ لَنَا، جَلِّهِمْ لَنَا أَنْ لاَ نَكُونَ مِنْهُمْ، وَنَحْنُ لَا نَعْلَمُ، قَالَ: «**أَمَا إِنَّهُمْ إِخْوَانُكُمْ، وَمِنْ جِلْدَتِكُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنَ اللَّيْلِ كَمَا تَأْخُذُونَ،**

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٣٦١٣، ٤٨٤٦).

**وَلَكِنَّهُمْ أَقْوَامٌ إِذَا خَلَوْا بِمَحَارِمِ الله انْتَهَكُوهَا»**[1].

فالصَّالحون كانوا يخافون من حبوط الأعمال، وفرْقٌ بين الصَّالحين مع أعمالهم وبينَ غيرِ الصَّالحين؛ فغير الصَّالح يقوم بالعَمل ثمَّ يمُنُّ بعمله: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ (١٧)﴾ [سُورَةُ الحُجُرَاتِ]، بينما الصَّالح يقوم بالعمل وهو خائفٌ أن يحبط، وأن لا يُقبَل كما قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوا وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ (٦٠)﴾ [سُورَةُ المُؤْمِنُونَ].

قالت عائشة رضي الله عنها: أَهُوَ الَّذي يَزْني ويسْرِقُ ويشربُ الخَمْرَ؟ قَالَ: «**لَا يَا بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ أَوْ يَا بِنْتَ الصِّدِّيقِ! وَلَكِنَّهُ الرَّجُلُ يَصُومُ وَيَتَصَدَّقُ وَيُصَلِّي، وَهُوَ يَخَافُ أَنْ لَا يُتَقَبَّلَ مِنْهُ**»[2]، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ

---

(١) «سنن ابن ماجه» رقم (٤٢٤٥)، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» (٥٠٥).

(٢) «جامع التِّرمذي» رقم (٣١٧٥)، «سنن ابن ماجه» رقم (٤١٩٨)، واللَّفظ له، وصحَّحه الألباني في «الصَّحيحة» برقم (١٦٢).

﴿ٱلۡمُتَّقِينَ ٢٧﴾ [سُورَةُ المَائِدَةِ]؛ أي المتَّقين لله في تلك الأعمال الَّتي قاموا بها؛ بأن تكون لله خالصةً، ولسنَّة النَّبيِّ ﷺ موافقةً، فالصَّالحون يخافون من حبوط الأعمال.

يقول التَّابعي الجليل عبد الله بن أبي مُلَيْكَة رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أدركتُ ثلاثين من أصحاب النَّبيِّ ﷺ كلُّهم يخاف النِّفاق على نفسِه»(١).

ويقول الحسنُ البَصري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إِنَّ المؤْمِنَ جَمَعَ إِحْسَانًا وَشَفَقَةً، وَإِنَّ المنَافِقَ جَمَعَ إِسَاءَةً وَأَمْنًا»(٢)؛ يسيء في العمل وهو آمن، أمَّا المؤمن فهو محسنٌ في العَمل ومشفقٌ أن يُردَّ عملُه ولا يُقبل.

فالشَّاهد أنَّ العبد يجب عليه أن يحذر من مُبطِلات الأعمال.

---

(١) «صحيح البخاري» كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر، معلَّقًا، ووصله ابن أبي خيثمة في «تاريخه» كما في «الفتح»، والخلَّال في «السُّنَّة» (١٠٨١).

(٢) «الزُّهد» لابن المبارك رقم (٩٨٥).

## □ المرتبة السَّابعة: الثبات عليه □

**المرتبة السَّابعة: الثَّبات على الحقِّ، والخوف من سوء الخاتمة؛ لقوله ﷺ: «إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ، وَيُخْتَمُ لَهُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ»[1]، وهٰذه أيضًا: من أعظم ما يخاف منه الصَّالحون؛ وهي قليل في زماننا؛ فالتَّفكُّر في حال الَّذي تعرف من النَّاس في هٰذا وغيره، يدلُّك على شيء كثير تجهله؛ والله أعلم.**

□□□

الأمر السَّابع والأخير ممَّا يجب علينا نحو ما أمرنا الله به **الثَّبات عليه**، أن يحرص الإنسانُ على الثَّبات على الحقِّ والهدى والاستقامة على دين الله إلى الممات.

قال سُفيان بن عبد الله الثَّقفي رضي الله عنه قلتُ: يا رسول الله! قُل لي في الإسلام قولًا لا أسأَلُ غيرَكَ، قال:

---

(١) «صحيح البخاري» رقم (٦٥٩٤)، و«صحيح مسلم» رقم (٢٦٤٣) عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

«**قُلْ: آمنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ**»(١)، فيحرص الإنسانُ على الاستقامة والثَّبات على دين الله، ويسأل الله ـ تبارك وتعالى ـ دومًا أن يثبِّته، قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ويجب على المسلم أن يخاف من سُوء الختام، يقول ﷺ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ حَتَّى مَا يَكُونُ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا إِلَّا ذِرَاعٌ فَيَسْبِقُ عَلَيْهِ الكِتَابُ، فَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ النَّارِ فَيَدْخُلُهَا**»(٢)، ولهٰذا كان السَّلفُ يخافون من السَّوابق والخواتيم(٣)؛ «السَّوابق» أي ما سبق له في علم

(١) «صحيح مسلم» رقم (٣٨).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٣٢٠٨)، و«صحيح مسلم» رقم (٢٦٤٣).

(٣) قال الحافظ ابن رجب رحمه الله في «جامع العلوم والحكم» (٢/ ١٧٣ ـ تحقيق الأرناؤوط): «وكان يشتدُّ خوف السَّلف من سوء الخواتيم، ومنهم مَن كان يقلقُ من ذكر السَّوابق، وقد قيل: إنَّ قلوب الأبرار معلَّقةٌ بالخواتيم، يقولون: بماذا يُختم لنا؟! وقلوب المقرَّبين معلَّقةٌ بالسَّوابق يقولون: ماذا سبقَ لنا؟! اهـ.

الله، و«الخواتيم» أي ما يُختَم له به في أيَّامه الأخيرة ولحظاته الأخيرة الَّتي يودِّع فيها الدُّنيا، فقد قال ﷺ: «**مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلٰـهَ إِلَّا اللهُ دَخَلَ الجَنَّةَ**»[1]، ولهٰـذا يحتاج المسلمُ دومًا وأبدًا أن يسأل ربَّه ـ تبارك وتعالى ـ أن يثبِّته، وأن لا يُزيغَ قلبَه، تقول أمُّ سلمة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: كان أكثَرُ دعاءِ النَّبيِّ ﷺ: «**يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ، ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ**»، قالت: قلتُ: يا رسول الله! ما أكثر دعاءك: يا مقلِّب القلوب ثبِّت قلبي على دينك؟! قال: «**يَا أُمَّ سَلَمَةَ! إِنَّهُ لَيْسَ آدَمِيٌّ إِلَّا وَقَلْبُهُ بَيْنَ أَصْبعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللهِ، فَمَنْ شَاءَ أَقَامَ وَمَنْ شَاءَ أَزَاغَ**»[2]، وجاء في «الصَّحيحين» أنَّ نبيَّنا ﷺ كان يقول في دعائه: «**اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ**

---

(١) «سنن أبي داود» رقم (٣١١٦) عن معاذ بن جبل رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللهُ.

(٢) «جامع التِّرمذي» رقم (٣٥٢٢)، وحسَّنه، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللهُ، وأصله في «صحيح مسلم» رقم (٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

**أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لَا إِلٰـهَ إِلَّا أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لَا يَمُوتُ، وَالجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ»**[1]، وكان في كلِّ مرَّة يخرج فيها من بيته يقول ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَّ أَوْ أُضَلَّ، أَوْ أَزِلَّ أَوْ أُزَلَّ، أَوْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ، أَوْ أَجْهَلَ أَوْ يُجْهَلَ عَلَيَّ**»[2].

فالشَّاهد أنَّ العبد يدعو ربَّه ـ تبارك وتعالى ـ أن لا يضلَّه، وأن لا يزيغَه، يدعو ربَّه ـ تبارك وتعالى ـ أن يثبِّت قلبَه على الإيمان، ويأخذ بأسباب الثَّبات والاستقامة، ومِن ذلكم: أن يحرصَ دومًا وأبدًا على إصلاح سريرتِه وإصلاح باطنِه بينَه وبينَ الله، ولهـٰذا قال أهلُ العلم: لا يُعرف أنَّ مَن صلحت سريرتُه، وحسُنت عقيدتُه بينه وبين الله أن يُختم له بخاتمة سيِّئة، قال عبد الحقِّ الإِشبيلي

(١) «صحيح البخاري» رقم (٧٣٨٣)، و«صحيح مسلم» رقم (٢٧١٧) واللَّفظ له، من حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٢) «سنن أبي داود» رقم (٥٠٩٤)، و«سنن ابن ماجه» رقم (٣٨٨٤)، من حديث أمِّ سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «واعلم أنَّ سوء الخاتمة ـ أعاذنا الله منها ـ لا يكون لمن استقام ظاهرُه وصلح باطنُه، وإنَّما تكونُ لمن كان له فسادٌ في العَقل أو إصرارٌ على الكَبائر، وإقدامٌ على العظائم، فربَّما غلبَ ذلك عليه حتَّى ينزلَ به الموتُ قبل التَّوبة، ويثبَ عليه قبل الإنابة، ويأخُذَه قبل إصلاح الطَّوِيَّة، فيصطَلِمه الشَّيطان عن تلك الصَّدمة، ويختَطفه عند تلك الدَّهشَة، والعياذ بالله»[1].

وشاهد ذلك في الحديث في بعض رواياته قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام ـ: «**إِنَّ أَحَدَكُمْ لَيَعْمَلُ بِعَمَلِ أَهْلِ الجَنَّةِ فِيمَا يَبْدُو لِلنَّاسِ**»[2]، أي أنَّ السَّريرة كان فيها شيء.

ولهٰذا على العبد أن يجتهد في إصلاح سريرته، وتنقيتِها بالإخلاص والصِّدق والمحبَّة والخير، وأن يُبعِد

(١) «العاقبة في ذكر الموت» (ص ١٨٠)، ونقله عنه ابن القيِّم في «الجواب الكافي» (ص١٨٣ـ دار المنهاج).

(٢) «صحيح البخاري» رقم (٢٨٩٨)، و«صحيح مسلم» (١١٢) من حديث سهل بن سعد السَّاعدي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.

عن قلبه الغلَّ والحقد ودفائنَ القلوب وسخائمَ النُّفوس، وفي الدُّعاء المأثور عن نبيِّنا ﷺ: «**واسْلُلْ سَخِيمَةَ قلبي**»[1]، فيُصْلِحُ العبدُ باطنَه ويدعو ربَّه ـ تبارك وتعالى ـ أن يثبِّته على الحقِّ والهُدى، وأن يُحييه مسلمًا وأن يتَوفَّاه مؤمنًا، وأن يُصلحَ له دينَه الَّذي هو عصمةُ أمره، وأن يُصلِح له دنياه الَّتي فيها معاشه، وأن يُصلحَ له آخرتَه الَّتي فيها معاده، وأن يجعل الحياةَ زيادةً له في كلِّ خير، والموت راحةً له من كلِّ شر.

وفي هـٰذا المعنى دعواتٌ كثيرة عن نبيِّنا صلوات الله وسلامه عليه.

فهـٰذه أمور سبعةٌ تجبُ علينا نحو ما أمرنا الله ـ تبارك وتعالى ـ به، أسألُ الله الكريم ربَّ العرش العظيم أن يوفِّقنا جميعًا لتحقيقها، وأن يهدينا سواء

---

(١) «سنن أبي داود» رقم (١٥١٠)، و«جامع التِّرمذي» رقم (٣٥٥١) وحسَّنه، و«سنن ابن ماجه» رقم (٣٨٣٠) من حديث ابن عبَّاس، وصحَّحه الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

السَّبيل، وأن يُصلح لنا شأننا كلَّه، وألا يكِلَنا إلى أنفسنا طرفةَ عين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربِّ العالمين، وصلَّى الله وسلم وبارك وأنعم على عبد الله ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين[١].



(١) أصل هذه الرِّسالة درسٌ ومحاضرة في شرح هذه الرِّسالة، تمَّ تفريغهما من التَّسجيل ثمَّ الدَّمج بينهما ثمَّ أَجْرَيْتُ ما تيسَّر من تعديل، وفضَّلتُ بقاءه بأسلوبه الإلقائي، والله وحده الموفِّق.

# الفَهرس

